القاطرة البشرية

محمود سالم

القاطرة البشرية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

القاطرة البشرية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٦٥٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مشهد مخيف في مطعم صغير!	١١
اتصال ... في الوقت المناسب!	١٥
وفاء الأصدقاء!	١٩
أحيانًا يحدث هذا الخطأ!	٢٣
مطعم السمكة التي أفلتت!	٢٧
العشاء الأخير!	٣٣
المفاجأة!	٣٩
ليس في الدنيا مستحيل!	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مشهد مخيف في مطعم صغير!

عندما تنتهي مغامرةٌ من مغامرات الشياطين الـ «١٣»، يعودون — عادة — إلى المقر السري؛ حيث تُناقش المغامرة، والدروس المستفادة منها، وهل تم القضاء على العدو قضاءً كاملًا، أم بقيت له رءوسٌ وأَذْناب تتحرك، وتُهدِّد أمنَ وسلامة منظمة الشياطين السرية.

وعندما عاد الشياطين من مغامرة «فئران نيويورك»، التي انتهَت بالقبض على زعيم العصابة «بازوليني» بواسطة البوليس الأمريكي، كان عنصرٌ جديد قد برز في الصورة ... هذا المجرم العاتي «موكا برازي» شقيق «لوكا برازي»، رجل المافيا المشهور، والذي قُضيَ عليه بواسطة «سولوزو» مهرِّب المخدرات ...

مات «لوكا» وبقيَ «موكا» شقيقه، والذي كان رجال العصابات يعتبرونه ظاهرةً لا مثيلَ لها في الإجرام ... فهو ضخمُ الجسم بصورة غير عادية، شَرِسٌ كالنمر، يَقِظ كالذئب، بارد الأعصاب كالثعبان، قويٌّ كوحيدِ القرن.

مجرمٌ اجتمعَت فيه جميعُ الصفات التي تجعل منه عصابةً بأكملها، وقد اعتاد «موكا» أن يعمل وحده؛ فهو يقوم — مقابل أجر — بأي شيء لحساب العصابات ... وقد استأجره «بازوليني» للقضاء على مجموعة الشياطين الـ «١٣»، التي انتصرَت عليه في إيطاليا مرة، وفي أمريكا مرة أخرى ... ولكن الشياطين أوقعوا بـ «بازوليني» دون أن يستطيع «موكا» ولا بقية عصابة «بازوليني» من إلحاق أيِّ ضررٍ بهم. وكان «موكا برازي» غاضبًا وحانقًا لهذه النهاية ... فقد كانت هذه أولَ مهمة يُكلَّف بها ويفشل فيها.

لقد تقاضَى ١٥ ألف دولار من «بازوليني» كمقدَّم أتعاب لعملية القضاء على الشياطين الـ «١٣»، على أن يتقاضى ٧٥ ألفًا أخرى بعد انتهاء مهمته، ولكن المهمة انتهَت بالفشل الذريع. ولم تكن بقيةُ الأتعاب هي فقط السبب في غضب «موكا برازي»، بل كان غاضبًا

أكثر؛ لأن سُمعتَه في العالم السفلي — عالم الإجرام — قد اهتزَّت جدًّا. وأنَّه سَمِع بأُذُنَيه في أحد المطاعم مَن يقول: إنَّ مجموعة من الأولاد قد هزموا «موكا» ... وساعتَها كاد ينفجر من الغضب، وقام يضرب القائل، حتى أُغميَ عليه.

جلس المجرم العاتي يفكِّر فيما حدث ... لقد كانت النهاية في «لاس فيجاس»، ثم اختفى هؤلاء الأولاد، وقد بحث عنهم في طول أمريكا وعَرْضها، ولم يعثر عليهم، ودسَّ عليهم العيون والأرصاد، لكن هؤلاء الشياطين اختفَوا تمامًا، وكأنَّهم أشباح سوداء، تلاشَت في الظلام.

لكن «موكا» عثَر على الخيط الذي يمكن أن يُوصلَه مرة أخرى إلى الشياطين الـ «١٣»، هذا الخيط هو «فرانك» ... لقد شرح له «بازوليني» أنَّ الشياطين حضروا إلى أمريكا لإنقاذ صديقهم «فرانك» من براثن عصابة «بازوليني». إذن، فإنَّ «موكا» إذا استطاع الضغط مرة أخرى على «فرانك»، فقد يستطيع أن يعثر على الشياطين. وفي هذه المرة لن يتركَهم يُفلتون من عقابه.

على العكس، فسوف يضربهم بشدة وبقسوة تُصبح حديثَ العالم السفلي لمدة طويلة.

وهكذا، غادر «موكا» «لاس فيجاس» إلى «نيويورك»، حيث سلسلة مطاعم «فانس»، التي يملكها «فرانك» ... ولم يكَدْ ينزل من الطائرة حتى استقل سيارته من طراز «كونتيننتال» الضخمة، متجهًا إلى قلب «مانهاتن»، حيث يوجد المطعم الرئيسي والإدارة لمحلات «فرانك».

دفَع بابَ المطعم بقدمِه، ودخل ... كان الوقت متأخرًا نسبيًّا، ولم يكن في المطعم إلا عددٌ قليل من الزبائن، لفت أنظارَهم دخولُ «موكا»، الذي اتَّجه مباشرة إلى إحدى الموائد، فأزاح أحد الكراسي بصوت مسموع، ثم جلس.

لم يكن وَجْهُ «موكا» مجهولًا لدى معظم الموجودين، بما فيهم عمَّال المطعم ... لقد كان هذا الرجلُ ظاهرةً معروفة لدى أكثر الأمريكيِّين ... والذي لم يرَ صورتَه منهم، فهو على الأقل قد سَمِع عنه.

صاح «موكا»، وهو يضرب المائدةَ بقبضةِ يدِه، فيكاد يحطِّمها: مَن الذي يخدم هنا؟

تقدَّم أحد العمال وهو يرتجفُ، محاولًا إعادةَ ترتيب المائدة، فصاح به «موكا»: ماذا تفعل ... إنني أريدها كما هي!

قال العامل: نعم يا سيدي، إني آسف!

موكا: لقد سمعتُ أنَّكم تقدِّمون أطعمة فاسدة في هذا المكان، وأنَّ كل الزبائن يُصابون بأمراض منها!

العامل: ليس هذا صحيحًا يا سيدي ... إنَّ جهات التفتيش الصحية تُعاين الأطعمة وتتأكد من سلامتها.

«موكا» بصوت عالٍ كالرعد: هل تكذِّبني؟

صمتَ العامل ولم يُجِب. وقال «موكا»: أسرعْ بإحضار قطعة من «البوفتيك» بالفلفل، وطبق من «الإسباجيتي»، وسأرى بنفسي هذه السموم التي تُقدِّمونها للزبائن.

أسرع العامل لإحضار الطلب. بينما أخذ الزبائن يحاولون التسلُّلَ من أماكنهم والخروج من المكان. لكن «موكا» صاح بصوتٍ كالرعد: ابقَوا في أماكنكم ... إنني أريد أن أرى ماذا يحدث هنا، وترونه أنتم أيضًا ...

عاد الزبائن إلى أماكنهم، وقد توقَّفوا عن الطعام ... كان واضحًا أنَّ «موكا» ينوي شرًّا بالمكان، وأنَّه يريد أن يُحدثَ أكبرَ تأثير على المكان ومَن فيه، ولم يكن صعبًا على الموجودين جميعًا أن يشاهدوا حجم الأسلحة التي يحملها «موكا»، تحت مِعطفه الطويل، الذي يصل إلى قرب قدمَيه ...

كان عمال المطعم يتبادلون النظرات، وقد أصابهم الهلَع. ولم يكن «فرانك» موجودًا. وانتظر «موكا» لحظات، ثم بدأ يصرخ مرة أخرى. ووصل العامل يحمل أطباق الطعام ... وأخذ «موكا» يتشمَّمها مشمئزًّا، ثم ضربها بقبضة يده، فتناثر الطعام في كل مكان، وأسرع الزبائن يغادرون المطعم مسرعين.

صاح «موكا»: أين مدير هذا المطعم؟!

لم يردَّ أحد للحظات. فصاح مرة أخرى: إنني أسأل، هل أصابكم الخرس؟

ردَّ أحد العمال: إنَّه ليس موجودًا الآن يا سيدي!

صاح «موكا»، وهو يقف: إذن، قولوا لهذا اللص إنني سأحضر غدًا في الساعة السابعة مساءً لمقابلته، ولا بد أن يُدرك أنَّ تقديم السموم للناس هو أمر يُعاقب عليه القانون، وإذا كان القانون غافلًا عنكم، فسوف أنفِّذ القانون على طريقتي ... قولوا لهذا المدير إنَّ «موكا برازي» يريد أن يراه، وسوف يعرف أنني قادر على تنفيذ ما أريد ... وسوف يعرف ماذا أريد! ...

قام «موكا» من مكانه، كأنَّه جبل يتحرك، ومضى يتمشَّى في المطعم لحظات، ظنَّها العاملون به ساعات، حتى غادر المكان، وهو يقذف بالمقاعد والمناضد يمينًا وشمالًا.

أسرع العاملون بإغلاق الباب بعد خروجه، ثم أعادوا تنظيم المقاعد والموائد كما كانت. وقال أحدهم: لقد تخلَّصنا من «بازوليني» فجاء مَن هو أشر منه!

ردَّ آخر: إنني لن أحضر مرة أخرى إلى هذا المكان. على المستر «فرانك» أن يبحث عن غيري، إنني لستُ مستعدًّا لوضع رأسي في فم الأسد، وسيظل هذا المكان مهدَّدًا، ما دام «موكا» يريد شيئًا …

ظهر «فرانك» فجأةً عند مدخل الباب ومعه «جوك» … ودُهش العاملون بالمطعم … ما الذي جاء به في هذا الوقت المتأخر؟

قال «فرانك»: لماذا لم تتصلوا بي عندما جاء «موكا»؟!

ردَّ أحد العمال: إننا لا نريدك أن تصطدم بهذا الشرير المخيف!

فرانك: لقد اتصل بي أحد الزبائن ممن شاهدوا ما حدث … وقد جئت على الفور!

العامل: لقد طلب «موكا» مقابلتَك في السابعة مساءَ غدٍ … ونحن آسفون يا مستر «فرانك»، إنَّك تُدرك أنَّ «موكا» يقتل الإنسان كما يقتل الذبابة، ومن الصعب علينا أن نتركك … ولكن المسألة مسألة حياة أو موت!

فرانك: إنني أُدرك ذلك، ولن أطلب من أحد أن يبقى معرِّضًا نفسه للخطر!

اتصال ... في الوقت المناسب!

انسحب أكثر العمال في هدوء، وبقيَ «فرانك» وصديقه «جوك» فقط ... كان واضحًا أنَّ تهديد «موكا» معناه تحطيم كلِّ ما بناه «فرانك» خلال السنوات الماضية ... سُمعته ... محلاته ... وأمواله ... وهو يعلم يقينًا أنَّه إذا اتصل بالبوليس فإنَّ عصابة المافيا كلها ستقف ضدَّه ... ليس «موكا» وحده، ولكن مئات من المجرمين، الذين يهمُّهم أن يظلَّ عملُهم بعيدًا عن أعين رجال البوليس ... فإذا جرؤ واحد على الاتصال بالبوليس، فلا بد أن تتساند العصابات كلها من أجل توقيع أشد العقوبة به.

قال «فرانك»: اسمع يا «جوك»، دَعْنا ننتهي من هذه الحكاية ... سأُغلق المحلاتِ كلَّها، وأترك «نيويورك» ... تعالَ نذهب إلى ولاية أخرى، نبدأ فيها عملًا جديدًا بعيدًا عن هذا العالم المخيف!

ردَّ «جوك» على الفور: لا شك أنَّك تمزح ... إنَّك إذا ذهبت إلى القطب الشمالي فسوف يتبعك «موكا»؛ إنني أرى من الأفضل التفاهم معه!

فرانك: ماذا يريد «موكا» مني؟

جوك: ذلك واضح جيدًا ... لقد أتيت بأصدقائك الذين هزموا «بازوليني» مرتين، ووضعوه في السجن ... ودخول زعيم من زعماء «المافيا» إلى السجن ليس مسألة هينة!

فرانك: وماذا سأفعل؟

جوك: لنرى ماذا يطلب «موكا» منك، فإذا كان يريد مبلغًا من المال فلتدفعه له وتستريح.

فرانك: ماذا لو فعل مثل «بازوليني» وطلب ٣ ملايين أو ٥ ملايين دولار، من أين آتي بهذا المبلغ؟

جوك: دعنا نشرح له الأمر!

فرانك: لقد حاولت مع «بازوليني» لكنَّه لم يستمع لي ... فكيف تتصور أن يسمع «موكا»، وهو أكثر شراسة من «بازوليني»؟!

ساد الصمت بين الصديقين ... كان «فرانك» يفكر في زوجته «نانسي»، فعليه أن يخبرها بما حدث، حتى تأخذ حِذْرها، فقد خطفها «بازوليني» من قبل، وليس من المستبعد أن يخطفها «موكا» الآن.

قام «فرانك»، واتصل بـ «نانسي» تليفونيًّا، وشرح لها كل شيء ... وردَّت «نانسي» بصوت متألم: «لم يعد أمامنا إلا أن نصفِّي عملنا الناجح هنا، ونترك «نيويورك». هذا هو الاقتراح الوحيد المعقول!»

فرانك: سأفكر في الأمر ... ما زال أمامنا وقت للتفكير!

وفي هذه اللحظة. دقَّ جرس التليفون الآخر الموضوع على مكتب الإدارة في الداخل، وسمع «جوك» صوت رنين التليفون، فقفز مسرعًا إلى الداخل، ورفع السماعة ليرد، وكم كانت دهشته أن يسمع صوتًا يقول: السلام عليكم! ...

كان «جوك» قد سمع هذه الجملة مرارًا من الشياطين الـ «١٣»، وأحسَّ عندما سمعها أنَّ السماء قد تدخَّلت لإنقاذهم ... وردَّ بلغة عربية ركيكة: السلام إليكم!

تحدث «أحمد»، سائلًا عن «فرانك». فروى له «جوك» بسرعة ما يحدث عندهم ... وقال له: إنني أروي لك القصة؛ لأنَّ «فرانك» ربما يكتُم عنك الأمر خوفًا عليكم!

وترك «جوك» السماعة وأسرع إلى «فرانك» وأشار إليه أنَّ هناك من يطلبه، فأنهى «فرانك» المكالمة مع زوجته وسأل «جوك»: مَن هو؟

جوك: ستعرف فورًا!

وأسرع «فرانك» إلى الداخل، وقلبه يدقُّ فزعًا، فربما يكون «موكا» أو أحد أعوانه، ولكن الصوت الذي ردَّ عليه جعله يقفز فرحًا ... لقد كان صوت صديقه «أحمد» فصاح «فرانك»: «أحمد» ... أين أنت؟ ...

أحمد: إنني في مكان ما من العالم!

فرانك: ربما تكون خارج العالم ... ألست شيطانًا؟!

ضحك «أحمد» وهو يقول: اعتبرني خارج العالم ... ولكن قل لي أين أنت؟

فرانك: أنا في أسوأ مكان على الأرض!

أحمد: لماذا؟!

تردَّد «فرانك» في الإجابة، كان يريد أن يُخفيَ عن «أحمد» المحنة التي يتعرض لها ... إنَّه لا يريد أن يعرِّضَه لأخطار أخرى ... ردَّ «فرانك» بعد لحظات: مجرد أزمة مالية.

أحمد: إنَّ صوتك يقول أكثر من هذا!

فرانك: مجرد أزمة وتمر ... ولكن في الأغلب سوف أصفِّي أعمالي وأغادر «نيويورك» إلى ولاية أخرى أو إلى دولة أخرى ... إنَّ ما يحدث لي يفوق طاقة البشر!

أحمد: قل لي ما هي الحكاية؟

فرانك: بصراحة إنَّ عملية «بازوليني» تركت ذيولًا خلفها ... هذا المدعو «موكا برازي» الوحش الذي لا يرحم، وأقسى رجل عرفَته عصابات «المافيا» ... إنَّه حقًّا قاطرة بشرية!

أحمد: هل تعرض لكم؟

فرانك: نعم، وهو يريد تحطيمنا نهائيًّا ... إنَّه حتى لم يطلب نقودًا كما فعل «بازوليني»، لقد جاء لتحطيم كل شيء، إنَّها بالطبع عملية انتقام واضحة ... لقد هزمتم زعيمه «بازوليني» الذي استأجره للقضاء عليكم وهكذا تعرَّضت سُمْعته للكلام، ومثل هذا الرجل لا يترك مثل هذه الأمور تمر ببساطة ...

أحمد: ما هو الموقف الآن؟

فرانك: لقد حضر إلى مطعم «مانهاتن»، وأحدث أزمة مفتعلة هرب على إثرها الزبائن من المحل، وقال إنَّه سيعود غدًا في السابعة مساء ...

فكَّر «أحمد» لحظات، ثم قال: سأتصل بك بعد ساعة ... سأحاول أن آخذ إذنًا من رئيسي الأعلى للسفر إليكم.

فرانك: أرجوك يا «أحمد»، إنني لا أريد أن تُعرِّض نفسك لمزيد من الأخطار ... هذا قدَري فدَعْني ألقاه!

قال «أحمد» بلهجة قاسية: لا تحدِّثني هكذا ... إنَّك لا تعرف قانوننا، فنحن لا نترك شخصًا ساعدنا يُضار من أجل هذه المساعدة ... لقد ساعدتنا ضد «بازوليني» في إيطاليا، وها أنت تتعرض للمشاكل ... سأشرح الأمر لرئيسي وسوف أحدِّثك بعد ساعة، لا تتحرك من مكانك!

وضع «أحمد» السماعة ... كانت الساعة مع فارق التوقيت مع أمريكا الواحدة بعد الظهر، ولا يعرف «أحمد» إذا كان رقم «صفر» موجودًا في المقر أم غادرَه ... وفكَّر أنَّ أفضل شيء هو الاجتماع مع «عثمان» و«زبيدة» و«إلهام» الذين عملوا معه ضد «بازوليني» في أمريكا ... ودخل غرفته، وضغط على ثلاثة أزرار ثم تركها وضغط مرة أخرى وثالثة، ولم تمضِ دقيقة حتى كان الثلاثة يدخلون الغرفة.

قال «أحمد» بسرعة: إنَّ «فرانك» يتعرض لأزمة رهيبة، فهذا الوحش البشري «موكا برازي» ينوي تحطيمه تمامًا ... إنَّه لا يطلب نقودًا، ولكن يريد أن يحطمه بالكامل.

إلهام: يجب أن نذهب فورًا لمساعدته.

أحمد: هذا ما فكرت فيه، ولكن ذلك يستلزم استئذان رقم «صفر»!

عثمان: سأتصل بمدير مكتبه لهذا الغرض.

وأمسك «عثمان» بسماعة التليفون الداخلي حيث أدار القرص برقم «صفر» خمس مرات، وسمع على الطرف الآخر صوت مدير المكتب يرد، فقال له: إنَّ أربعة من الشياطين يريدون مقابلة رقم «صفر» بشكل عاجل.

المدير: ما هو موضوع المقابلة؟

عثمان: أحد أصدقائنا الذي سبق أن ساعدنا في معركة هامة يتعرض للتحطيم من أنصار هذا العدو ... نريد إذنًا من رقم «صفر» بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بصفة عاجلة لمساعدته.

المدير: ما هي مدة الغياب؟

عثمان: لا نعرف بالضبط، ولكن ربما أسبوعًا أو عشرة أيام!

المدير: والأربعة مَن هم؟

عثمان: «أحمد»، «زبيدة»، «إلهام»، و«عثمان».

المدير: سأرد عليك بعد ثلاث دقائق.

وضع «عثمان» السماعة، ونظر إلى عقرب الدقائق في الساعة المعلقة في غرفة «أحمد»، وساد الصمت، والعقرب يجري سريعًا، وبعد ثلاث دقائق بالضبط دقَّ جرس التليفون.

وفاء الأصدقاء!

كان المتحدث رقم «صفر». وأدار «أحمد» مفتاحًا جعل المكالمة مذاعة في الغرفة. وسمع الشياطين صوته العميق وهو يقول: إنني طلبت دراسة سريعة عن موقف صديقكم «فرانك» ... أليس هو «فرانك»؟

ردَّ «أحمد» على الفور: نعم يا سيدي!

رقم «صفر»: لقد غيَّرنا عميلنا في «نيويورك»، والرجل الجديد ما زال يدرس ملفات عميلنا السابق الذي نُقل إلى «هافانا»، وسيحتاج بعض الوقت حتى يصل إلى المعلومات المطلوبة.

أحمد: ولكن يا سيدي المشكلة أنَّ الموضوع لا يحتمل التأجيل ... فغدًا في السابعة مساء سوف يقوم مجرم مشهور يُدعى «موكا برازي» بمهاجمة المقر الرئيسي ومطعم «مانهاتن» الذي يملكه صديقُنا «فرانك» ... فإذا حسبنا فارق التوقيت بيننا وبين أمريكا وهو تسع ساعات، فإننا يجب أن نسافر فورًا.

رقم «صفر»: لقد أخذ صديقكم «فرانك» منَّا وقتًا طويلًا، وجهدًا كثيرًا ... وأظن أنَّ منظمة الشياطين الـ «١٣» لا تتدخل إلا في موضوعات تهمُّ العالم العربي ... وهذا الموضوع لا يهمنا.

أحمد: ولكن يا سيدي أرجو ألا تنسى أنَّ «فرانك» ساعدنا في العثور على قائمة مهرِّبي المخدرات الكبار في الشرق الأوسط ... وهذا يهم كل العالم العربي.

رقم «صفر»: هذا صحيح، وقد تركتكم تحاربون من أجله مرة ... ولكن ليس في كل وقت!

أحمد: نَعِد رقم «صفر» بأن تكون هذه آخر مرة؛ لأنَّا ننوي أن ننتهيَ من هذه المعركة بشكل حاسم.

رقم «صفر»: لا بأس، ولكن خذوا حذركم ... وسترسل لكم سكرتارية المقر السري جميع المعلومات اللازمة، بالإضافة إلى الشفرة الجديدة للاتصال بعميلنا الجديد في نيويورك.

أحمد: شكرًا لك يا سيدي ... ونعد أن نكون في منتهى الحذر.

رقم «صفر»: إنني مُعجب بإخلاصكم لصديق ساعدكم في وقت الشدة ...

ونصيحتي أن تؤجِّلوا أول جولة، فعادة ما يستعد العدو للجولة الأولى استعدادًا خاصًّا، ومن الأفضل تفويت الفرصة عليه.

أحمد: سنضع ذلك في اعتبارنا.

ووضع «أحمد» السماعة، وقد بدَا عليه الابتهاج والتوتر وقال: هيَّا نضع خطتنا!

جلس الأربعة أمام مائدة صغيرة في غرفة «أحمد» الذي قال: إنَّ رقم «صفر» ينصحنا بأن نؤجِّل الجولة الأولى!

عثمان: معنى هذا أن نترك «فرانك» لهذا الوحش «موكا برازي» يفعل به ما يشاء.

إلهام: أعتقد أنني فهمت أنَّ «موكا» سوف يذهب غدًا في السابعة مساء لمهاجمة «فرانك».

أحمد: هذا صحيح.

إلهام: المطلوب إذن أن نطلب من «فرانك» ألا ينتظر ... عليه أن يُغلقَ المحل، ويختبئَ في مكان أمين حتى نَصِل وندرُس الموقف مع عميل رقم «صفر» الجديد في نيويورك.

أحمد: هذا هو الرأي الأفضل!

وفورًا طلب «أحمد» من غرفة الاتصال أن يطلبوا رقم «فرانك» في «نيويورك» ... وبعد دقائق قليلة كان «فرانك» يتحدث ...

قال «أحمد»: اسمع يا «فرانك» ... أغلق المحل من اليوم، واذهب إلى أي مكان أمين حتى نصلَ إليك.

فرانك: إنَّ هذا سوف يدفع «موكا» إلى الجنون ... وسيبحث عني في كل مكان.

أحمد: بالتأكيد سوف نَصِل قبل أن يَصِل إليك ... ودَع الباقي علينا!

فرانك: إنَّ «جوك» عنده كوخ صغير على شاطئ جزيرة «ريكرز» في خليج «نيويورك» ... سأذهب إلى هناك مع «جوك» وننتظر وصولكم.

أحمد: سنركب الطائرة خلال ساعات قليلة ... ومن المتوقع أن نكون عندكم في نيويورك مساء الغد!

فرانك: أرجو أن تتصلوا بي في رقم «٤٣٩٨٩٤٤» وسأكون بجوار التليفون.

أحمد: اتَّفقنا ... وإلى اللقاء!

وضع «أحمد» سماعة التليفون. وبدأت على الفور استعدادات السفر ... ولحسن الحظ كانوا قد تركوا أسلحتهم في «نيويورك» عند «جوك» فلم يكن عندهم مشكلة المرور بالأسلحة عبر المطارات، رغم وجود حقائب مجهزة خصيصًا لهذا الغرض!

وبعد ساعتين كانوا يغادرون المقر السري، بعد أن حصلوا على المعلومات اللازمة والشفرة الجديدة من سكرتارية المقر ... ومن أقرب مطار إلى المقر كانوا يستقلون طائرة من طراز «تراي ستار ١٠٠٠» الجبارة، والتي انطلقت تشقُّ طريقها إلى لندن، فوصلَتها بعد خمس ساعات ... وبعد فترة راحة في مطار «هيثرو» عادت الطائرة — بعد أن تزوَّدت بالوقود — تُحلِّق من جديد في طريقها إلى المدينة الضخمة، على مسافة ساعة واحدة من الطيران المتصل. وعندما هبطت الطائرة بالمطار الكبير ونزل الشياطين الأربعة، كان إحساسهم جميعًا أنَّهم مقبلون على مغامرة عنيفة لا أحد يدري نهايتها ... فهذه أكبر مدينة في العالم؛ فمساحتها نحو ١٠٠٠ كيلومتر مربع، وعدد سكانها يزيد على ١٢ مليون نسمة، بالإضافة إلى أنَّها أعظم ميناء ومركز مالي في العالم كله ... وهم قادمون وحدهم لإنقاذ صديق ساعدهم في وقت عصيب ... وهذه ثاني مرة يأتون من أجل هذا الصديق، فالوفاء قيمة من أعظم قِيَم الإنسان، ومن الصفات التي يعتز بها البشر.

كانوا قد اتفقوا في الطائرة على ألَّا ينزلوا في «شيراتون روكفلر سنتر»، فقد نزلوا به قبل ذلك، وطاردهم «موكا برازي» فيه، وبالتأكيد سوف يبحث عنهم هناك ... لهذا ذهبوا إلى مكتب الاستعلامات في المطار وسألوا عن شقة صغيرة مفروشة، ومن الأفضل أن تكون فيلَّا ذات حديقة، وسرعان ما دلَّهم موظف الاستعلامات على أكثر من عنوان ... وخرجوا من المطار إلى مكتب شركة لتأجير السيارات فاختاروا سيارة من طراز «كونتننتال»، وهي أقوى سيارة أمريكية، ثم وضعوا حقائبهم القليلة، وانطلقوا، وقد أوشكت الشمس على المغيب فوق المدينة الكبيرة ... وبدأت الأضواء تلمع في المساء المشبع بالضباب، وكأنَّها عيون آلاف العناكب الغارقة تحت الماء ... وأمام خريطة للمدينة الضخمة، أخذت «إلهام» توجِّه «عثمان» الذي كان يقود السيارة، وسرعان ما وصلوا إلى الشاطئ الشرقي للمدينة، وساروا في طريق تحفُّه الأشجار الضخمة حتى أشرفوا على الفيلَّا التي اختاروها والتي دفعوا إيجارها في مكتب الاستعلامات.

كانت فيلَّا صغيرة مطفأة الأنوار بين الأشجار العالية، ولها ممرٌّ صغير يؤدي إلى النهر ... ودخلت السيارة إلى جراج الفيلَّا ونزل الشياطين مسرعين إلى الفيلَّا، بينما قام

«عثمان» و«زبيدة» و«إلهام» بإخراج الملابس من الحقائب، وترتيب المكان. كان «أحمد» يتصل بـ «فرانك» وكانت قد بقيت ساعة واحدة على موعد هجوم «موكا» على مقر «فرانك».

ردَّ «فرانك» على الفور. فسأله «أحمد»: ما هي الأخبار؟

فرانك: أين أنت؟

أحمد: في فيلَّا صغيرة على النهر، ومعي «عثمان» و«زبيدة» و«إلهام».

ثم شرح له العنوان بالتفصيل، وقال: هل عندك مكان نُشرف منه على هجوم «موكا»؟

فرانك: عندي شقة صغيرة في العمارة المقابلة للمطعم، كنت أستخدمها في الماضي، وهي الآن مهجورة.

أحمد: سنأتي فورًا ... نريد أن نرى كيف سيدبر الهجوم، وعدد الأشخاص الذين معه، ويجب أن نُسرع فالوقت ضيق.

بعد نصف ساعة من هذا الحديث كان الشياطين يُطلُّون من شرفة صغيرة على واجهة مطعم «فرانك» المغلق ... كان المكان هادئًا، والمطر ينزل في خيوط رفيعة كالحرير وقد خلا الشارع من المارة إلا من شخص يجري متقيًا المطر بمظلته، وسيارة تمر بين الحين والحين ...

أخرج «عثمان» كاميرا صغيرة ولكنها تستطيع التصوير في جميع الظروف وفي أي ضوء، وأخذ يختار زاوية معينة يوجِّه منها الآلة ... بينما انهمكَت «زبيدة» و«إلهام» في إعداد الأسلحة التي قد يحتاجونها إذا تقرَّر الهجوم على «موكا» وأعوانه ... بينما وقف «أحمد» و«فرانك» و«جوك» يتحدَّثون بجوار النافذة، ومع «أحمد» جهاز صغير يُشبه بندقية ولكن ماسورته أوسع بكثير.

في الموعد المحدد ظهرت سيارة ضخمة سوداء من طراز «فورد» دخلت الشارع ثم توقَّفت أمام محل «فرانك»، وتبعتها بعد لحظات سيارتان أخريان من نفس الطراز، ونزل ثلاثة رجال، كل واحد من سيارة، ووقفوا أمام المحل ... كان كلٌّ منهم يحمل مدفعًا رشاشًا أخفاه تحت ذيل معطفه الطويل ... ووقفوا أمام المحل لحظات، ثم نزل «موكا برازي» من السيارة الثانية، ووقف تحت المطر يتحدث مع الرجال الثلاثة.

أحيانًا يحدث هذا الخطأ!

اقترب «موكا» من باب المحل، وأخذ يتفحَّصه لحظات، ثم رفع قدمه وضرب الباب بكل قوته، وسمع الأصدقاء في الدور الرابع صوت صراخه وهو يسب ويلعن «فرانك» ومَن معه.

فتح «أحمد» زجاج النافذة بهدوء، وأطلَّ في الظلام على السيارات الثلاث، ثم ضغط على زرٍّ في البندقية التي معه فأطلقت شعاعًا من أشعة الليزر غير المرئية ... وكانت ماكينات السيارات الثلاث دائرة. فجأة، توقَّفت واحدة بعد أخرى ... وانسحب «أحمد» بهدوء، بينما سمع صيحات السائقين الثلاثة، ونزلوا جميعًا يتبادلون الكلمات الغاضبة ... ثم حاولوا إدارة الماكينات مرة أخرى، ولكن السيارات لم يصدر عنها أيُّ صوت، كأنما فقدت آلاتها إلى الأبد.

أسرع أحد السائقين إلى «موكا» قائلًا: يا زعيمي ... لقد حدث شيء لا يُصدق، إنَّ السيارات توقَّفت ولا تريد أن تدور!

موكا: ماذا تقول أيها القرد؟!

الرجل: أقول يا زعيمي، إنَّ شيئًا تدخَّل في موتور السيارات الثلاث وأوقفها عن الدوران.

دفع «موكا» الرجل في كتفه بوحشية، وقال: إنني أستخدم مجموعة من المعتوهين! ثم نادَى أحد الرجال الواقفين معه من حملة الرشاشات وقال: اسمع يا «دوميني» اذهب وتأكد مما يقوله هذا القرد!

أسرع «دوميني» إلى السيارة، وأخذ يدير المفتاح، ولكن الموتور لم يعمل مطلقًا ... وطلب فتح غطاء السيارة وانهمكوا جميعًا في محاولة البحث عن سبب العطل.

قال «فرانك»، وهو يشاهد ما يحدث من خلف الزجاج: ماذا فعلت يا «أحمد»؟!

أحمد: إنَّه أحد مبتكرات معمل الأبحاث عندنا ... جهاز صغير كهذا يمكن أن يعطل عمل موتور وهو متوقف أو دائر ... إنَّ الأشعة الصادرة تقوم بإيقاف توصيل الكهرباء من «شموع الاحتراق» إلى بقية أجزاء السيارة ... إنَّها تقوم بعمل عازل.

فرانك: وهل يمكن إدارة السيارة بعد ذلك؟

أحمد: إذا أُطلقت الأشعة بطريقة عكسية تزيل أثر العازل.

فرانك: يا لَك من شيطان!

أحمد: هذا بعض ما عندنا ... وسوف يعرف «موكا» قريبًا أنَّنا لسنا أطفالًا صغارًا يمكن أن يُرهبنا بهؤلاء البلطجية ... ولولا أنَّني وعدت رقم «صفر» بألَّا أُعرِّض الزملاء للخطر ... لكنت قد خُضت معه معركة الآن!

نزل بقية رجال «موكا» من السيارات ووقفوا حوله يتحدثون جميعًا في وقت واحد، وهو يشير إليهم بيديه، وقد بدأ ضغط دمه يرتفع ويحس أنَّه سينفجر ... ورفع رأسه إلى فوق وأخذ يُديرها هنا وهناك وهو يقول: إنَّني أحسُّ أنَّ هناك مَن يُراقبنا ... إنَّ «فرانك» قد استعان بعصابة ضدنا!

أسرع الشياطين إلى تجهيز أسلحتهم، فلو تم هجوم الآن فستكون مذبحة للطرفين ... وأخذ «موكا» يدور برأسه فاحصًا البنايات التي تُحيط بالمكان، والسماء لا تزال تمطر، ولا أحد يلتفت إلى ما يحدث ...

قال «موكا»: أسرع يا «دمونيس» واتصل بالمجمع قُل لهم أن يُرسلوا سيارات أخرى على الفور ... إنَّني أشعر بالقلق!

أسرع «دمونيس» إلى أقرب تليفون، ومدَّ «أحمد» بندقيته العجيبة إلى الخارج، ووجَّهها إلى كُشك التليفون، حيث كان «دمونيس» يتحدث، واستطاع أن يسمع المكالمة كاملة، ويعرف الرقم الذي طلبه «دمونيس».

عاد «دمونيس» بعد قليل، وقال: طلبت سيارات أخرى أيها الزعيم ... إنَّها في الطريق إلينا.

موكا: وماذا سنفعل مع «فرانك» لقد هرب كجرذ حقير؟!

دمونيس: سوف نُرسل رجالنا في أعقابه، سنعثر عليه أيها الزعيم، فكيف يختفي مثل هذا الجرذ عن عيوننا؟!

قال أحد الرجال: هل نُشعل النار في المحل يا زعيمي؟

موكا: وما فائدة ذلك أيها القرد ... وقد تمتد النيران إلى المنازل المجاورة وسياراتنا واقفة، وسيجد البوليس أدلة دامغة ضدنا ... إن عليكم أن تنتشروا وتعرفوا أين «فرانك» هذا، وغدًا تُحضرون بعض العمال لإصلاح هذه السيارات.

بعد لحظات، ظهرت سيارات من نفس الطراز الأسود، وأسرع «موكا» ورجاله فركبوا فيها، وانطلقت بهم ... وابتسم «أحمد»، وكذلك «فرانك» وبقية الأصدقاء.

فرانك: إنَّه مذهول مما فعلت!

أحمد: سأحاول أن أُحطم معنوياته أولًا ... سأحاول إخافته قبل الاصطدام به.

اختفت السيارات. وقال «أحمد» موجِّهًا حديثه إلى «جوك»: اسمع يا «جوك» ... أريد أن تكتب على كل سيارة من سيارات «موكا» أنَّ هذا أول إنذار وأنَّنا نحذِّره من الاصطدام بنا مرة أخرى.

نزل الشياطين ومعهم «فرانك» وتركوا «جوك» ليقوم بالمهمة، واتجهوا جميعًا إلى الفيلَّا التي استأجرها الشياطين عند النهر.

كانت الخطة التي وضعها «أحمد» تمشي في خط مستقيم، ولكن كثيرًا من الأخطاء تحدث دون قصد أو دون توقُّع ... فعندما انسحب «موكا» ورجاله، تركوا حارسًا يحرس السيارات الثلاث، فهي سيارات خاصة مزودة بالدروع وفيها فتحات لإطلاق النيران ... ثم إنَّ «موكا» كرجل محترف فكَّر أنَّ توقُّفَ السيارات الثلاث دون سبب واضح ربما وراءه أصابع خفية، وربما يحاول صاحب هذه الأصابع أن يأخذ السيارات ... لهذا كله ترك أحد رجاله للمراقبة.

اختفى الرجل عند المنحنى، ووقف يراقب الطريق. وكان المطر قد توقَّف وإن ظلَّت الرياح الباردة تضرب الطرقات ... وعندما انصرف «فرانك» ومعه الشياطين شاهدهم الرجل من بعيد ثم شاهدهم وهم يصافحون «جوك» ويتركونه ليقوم بكتابة الإنذار على السيارات.

لاحظ الرجل كل هذا بدهشة شديدة، واعترف بينه وبين نفسه أنَّ «موكا» زعيم لا يُشَق له غبار، فهو رجل حذر وشديد الدهاء ... وها هو قد شاهد «فرانك» فهو يعرفه، ولكن هؤلاء الشبان ما دخلهم في الموضوع!

أحضر «جوك» معه علبةً من الألوان، وأخذ يكتب على كل سيارة: إنَّنا نُنذرك أن تبتعد عن «فرانك» ... إنَّ هذا آخر إنذار، ونحذرك من الاصطدام بنا مرة أخرى.

كتب «جوك» الإنذار الأول وهو سعيد جدًّا؛ فإنَّ رئيسه المحبوب «فرانك» يتمتع الآن بحماية قوية من هؤلاء الشبان المغامرين، وأنَّهم انتصروا على «بازوليني» الداهية، وليس من الصعب عليهم الانتصار على «موكا برازي» رغم أنَّه أشد شراسة …

عندما انتقل «جوك» للكتابة على السيارة الثانية، وانحنى ليغمس الفرشاة في الألوان، أحسَّ بجسم صُلب ينغرس في ظهره وصوت يقول: أيها الصديق الصغير، لقد تسلَّمنا الإنذار الأول … هذا يكفي!

أدرك «جوك» على الفور أنَّه وقع في يد أحد رجال العصابة، وأنَّ «موكا» داهية حقًّا … ومرَّت بذهنه ومضة سريعة عمَّا يُمكن أن تفعل به العصابة لتحصل على اعترافه … إنَّهم طبعًا يريدون معرفة إلى أي قوة ينتمي، وكان عليه أن يتصرف بسرعة … وأمسك بعلبة الألوان الكبيرة بين يديه، ثم دار بسرعة وقذف بها في وجه الرجل … كان يعرف أنَّه يغامر بحياته فطلقة من مسدسه كفيلة بإرساله إلى الآخرة.

شلَّت المفاجأة رجل العصابة؛ فلم يكن يتوقَّع أنَّ مثل هذا الشاب الصغير، ذي العوينات الزجاجية يمكن أن يُقدم على هذه المغامرة. ودخل السائل الحارق إلى عينَيه فصاح من الألم، بينما انطلق «جوك» جريًا عبر الشوارع المقفرة … وسمع طلقة مسدس تمر بجوار أذنه، ولكنه لم يتوقف حتى وجد نفسه في الشوارع الكبيرة في وسط «مانهاتن»، وأحسَّ ببعض الأمن … وأسرع إلى أقرب تليفون، وطلب مقر الشياطين على شاطئ النهر فردَّت عليه «إلهام» فقال بسرعة: إنَّ العصابة في أثَرنا ولقد هاجمني أحدهم، وقد تخلَّصت منه ولكن …

ردَّت «إلهام» على الفور: تعالَ فورًا … ولكن عليك أن تركب ثلاث مرات في اتجاهات مختلفة حتى لا يقتفوا أثَرك!

مطعم السمكة التي أفلتت!

عندما وصل «جوك» إلى فيلَّا الشياطين على شاطئ النهر، كان في حالة يُرثَى لها ... روى لـ «فرانك» والشياطين ما حدث له، فقال «أحمد»: إنَّك ولد ممتاز ... وقد نعطيك عضوية في المنظمة التي نعمل بها!

قال «جوك»: صدقني أيُّها المغامر إنني أريد أن أرتاح ... فمنذ عاد «فرانك» من إيطاليا ونحن نتعرَّض لمتاعب لا حدَّ لها!

أحمد: أَعِدُك أن أضع حدًّا لهذه المتاعب.

ولدهشة الجميع قام «أحمد» إلى جهاز التليفون ... كان معه الرقم الذي سجَّله الجهاز العجيب، رقم «موكا برازي» ... وردَّ أحد الأشخاص، فقال «أحمد»: أريد أن أتحدث إلى «موكا»!

الرجل: من أنت؟ وكيف حصلت على هذا الرقم؟

أحمد: أنا صديق لـ «فرانك» ... أما حكاية حصولي على الرقم، فهذه قصة يطول شرحها.

غاب الرجل لحظات، ثم عاد يقول: إنَّ «موكا» يرفض الحديث إليك.

أحمد: إذن قل له إنَّ سياراته جميعًا ستقف في عرض الطريق كل الوقت ... إنَّه لن يستطيع التحرك إلا بإذن مني!

كان الشياطين و«فرانك» و«جوك» يستمعون إلى «أحمد» وكأنَّهم يستمعون إلى رجل مجنون. ولكن «أحمد» قال لهم: إنني أريد أن أستمر في حملة تحطيم معنويات «موكا» ... إنَّه رجل شرس وقوي وداهية، ولكنَّه لا يستطيع احتمالَ عدوٍّ لا يعرفه ... إنَّه قد يُجيد استعمال مسدساته، ولكني أشك كثيرًا في أنَّه يستطيع أن يستخدم عقله.

وجاء «موكا» على التليفون ... وصاح بصوت كالرعد: مَن أنت أيها الحقير حتى تُهدِّد «موكا برازي»؟!

أحمد: إنني لستُ حقيرًا ... ومن الأفضل أن تُحسن اختيار ألفاظك!

موكا: إنني سأمزقك مثل قطعة ورق بالِيَة ... إنني سوف أهشِّم عظامك حتى لا يتعرف أحد عليك ...

قاطعه «أحمد» ضاحكًا: لا داعي لهذا التهديد يا «موكا» قبل أن تضع يدك عليَّ ... إنَّك لا تستطيع قتل أحد قبل أن تراه.

موكا: سأجدك ولو اختفيت في مركبة فضاء!

أحمد: لن أذهب إلى الفضاء هذه الأيام ... فأنا مقيم في «نيويورك».

موكا: ماذا تريد بالضبط ... قل بسرعة.

أحمد: إنني أنصحك أن تنسى موضوع «فرانك» ... دَعْه يعيش في سلام ونَعِدك ألَّا نتعرَّض لك.

موكا: أنت تتعرض لي! ... من أنت أيها التافه؟!

أحمد: لقد تعرَّضت لرجال أقوى منك وانتصرت عليهم. ومن الأفضل لك أن تستمع إلى نصيحتي.

ثار «موكا»، وأخذ يضرب سماعة التليفون على المائدة ... ثم صاح في «أحمد»: إذا كنت حقًّا تدَّعي الرجولة ... تعالَ قابلني وجهًا لوجه؟

أحمد: لا بأس ... ولكن كي نتحدث، وليس كي نقاتل؟

موكا: إنني لا أتحدث إلى أمثالك!

أحمد: إذن أنت حر ...

فكَّر «موكا» لحظات، وقد تحركت فيه غرائزُ الشر والدهاء، وقال: لا بأس ... تعالَ نتحدث!

أحمد: هذا كلام العقلاء ... اختر المكان والزمان الذي يناسبك.

موكا: غدًا.

أحمد: أوافق.

موكا: هل تعرف «نيويورك» جيدًا؟

أحمد: هذه ليست مشكلة ... عليك فقط بتحديد المكان والزمان!

فكَّر «موكا» لحظات، ثم قال: هل تعرف عمارة «الامباير ستيت»؟

أحمد: بالطبع ... إنَّها أشهر من أن تُجهل.

موكا: خلفها مطعم صغير اسمه «السمكة التي أفلتت» ... هل نلتقي هناك على العشاء في الثامنة مثلًا.

أحمد: هل يقدمون طعامًا جيدًا؟

موكا: إنَّه مطعم مشهور بتقديمه أنواع الأسماك الجيدة.

أحمد: إذن اتفقنا.

وضع «أحمد» السماعة، والتفت إلى الشياطين الذين بدا عليهم الذهول.

وقالت «زبيدة»: كيف تقابل مثل هذا الوحش؟

أحمد: إننا سنقابله بشكل أو بآخر ... ومن الأفضل أن نقابله سريعًا حتى يستطيع «فرانك» أن يزاول نشاطه.

زبيدة: أين اتفقتما على اللقاء؟

أحمد: في مطعم صغير خلف «الامباير ستيت»، اسمه السمكة التي أفلتت.

قال «جوك»: إنني أعرف هذا المطعم، إنَّ صاحبه الإيطالي من أعوان «المافيا» ومن المؤكد أنَّها مصيدة لاصطيادك.

أحمد: إنني مدرك هذا تمامًا!

فرانك: اسمع يا «أحمد» ... إنني لا أوافق على تعريض نفسك للموت من أجلي ... لقد اتفقت مع «نانسي» على تصفية أعمالنا في «نيويورك» سنذهب إلى مكان بعيد لا يعرفنا فيه أحد.

أحمد: دَعْك من هذه الخزعبلات ... إنَّ «موكا» سيظل يطاردك ما لم نضع حدًّا لهذا كله ... سأحاول أن أتفاهم معه، فإذا لم نتفاهم فسوف ندخل معه معركة حياة أو موت.

ثم التفت «أحمد» إلى الشياطين قائلًا: اذهبوا مع «جوك» غدًا إلى المطعم في الصباح، أريد دراسة وافية عن مكانه ... الأبواب، النوافذ، عدد العاملين، مكان دورة المياه، كيفية الهروب منه في الوقت المناسب.

فرانك: هل ستذهب وحدك؟

أحمد: طبعًا لا ... لا بد أن يذهب الشياطين، ولكن ليس في شكلهم العادي ... أريد من الآن البدء في وضع خطة للانسحاب من المطعم إذا لم أصل مع «موكا» إلى اتفاق.

عثمان: نريد ملابس تنكرية!

فرانك: هذه مسألة سهلة ... هناك محلات خاصة لتأجير الملابس يمكن أن تحصل منها على ما تريد.

إلهام: إذن فإننا في الصباح سنقوم بشراء هذه الملابس ثم نذهب للغداء في المطعم حيث تتم دراسة المكان دراسة جيدة!

عثمان: ما هو نوع التسليح المطلوب؟

أحمد: أسلحة خفيفة ... على أن توضع مدافع رشاشة في السيارة، فقد نضطر للمطاردة!

زبيدة: وماذا ستفعل أنت في الصباح؟

أحمد: سألتقي بعميل رقم «صفر»، سأوضح له الآن ما سيحدث غدًا، وأطلب منه أن ألقاه في الصباح.

وانصرف «فرانك» و«جوك». وتناول الشياطين طعام العشاء، واستسلموا للنوم استعدادًا لليوم التالي.

عندما استيقظ الشياطين في الصباح، كان في انتظارهم «جوك» واقفًا على الباب ... قال على الفور لقد مررت مرورًا سريعًا بالمطعم ... وقد لاحظت أنَّ الشقة المقابلة في العمارة المواجهة له يقوم عدد من الرجال بإعداد نوافذها، وأعتقد أنَّها تُعد لاستقبال عدد من مقاتلي العصابة للسيطرة على الشارع، ومعنى ذلك أنَّ في انتظاركم معركة عنيفة ...

أحمد: إنني أتوقَّع هذا طبعًا، ولكني لن أتردد في الذهاب ... ثم قام «أحمد» وأحضر جهازًا صغيرًا في حجم علبة السجائر، وقال لـ «جوك»: إنني أريدك أن تدخل العمارة المواجهة للمطعم ... خبِّئ هذا الجهاز في أي مكان في الطابق الذي سيكون فيه رجال العصابة ... إنَّه سينفجر في التاسعة تمامًا، ولن يصيب أحدًا بضرر ولكنه سيُثير الارتباك بين رجال العصابة.

وأسرع الجميع بالانصراف، بينما قام «أحمد» بالاتصال بعميل رقم «صفر» وردَّ الرجل على الفور، فقال «أحمد»: إننا في مهمة ونحتاج إلى بعض المعلومات ... سوف أقابل شخصًا يُدعى «موكا برازي» هذا المساء في مطعم «السمكة التي أفلتت». وأحتاج إلى معلومات عن المطعم ... ليس المعلومات العادية، ولكن إذا كان هناك معلومات ذات طابع خاص!

العميل: هذا ممكن طبعًا ... متى نلتقي؟

أحمد: إنَّ هذا متروك لك.

العميل: بعد ساعتين من الآن في كافتيريا «تريد سنتر».

أحمد: أوافق.

أخذ «أحمد» في إعداد الأسلحة التي سيأخذها الشياطين معهم، ثم خرج ومعه مسدس صغير، واستقل تاكسيًا إلى «الترايد سنتر» ثم صعد إلى الدور الأخير ... وفي الموعد تمامًا أخذ يتلفت حوله باحثًا عن عميل رقم «صفر»، ولكنَّه لم يستطع أن يتبيَّنَه وسط الزبائن الكثيرين في الكافيتريا، فأخذ يتجول وسط الزحام ... وفجأة أحسَّ بحقيبة صغيرة تُوضع في يده، وعندما التفت للبحث عمن أعطاه الحقيبة لم يرَ أحدًا ... وأدرك أنَّ عميل رقم «صفر» دسَّ الحقيبة في يده ومضى دون أن يشاهده.

العشاء الأخير!

اتجه «أحمد» إلى المصعد ... أخذ ينظر حوله لعله يلمح عميل رقم «صفر» ولكن بلا جدوى، فنزل ... وسرعان ما كان يعود إلى مقر الشياطين في الفيلَّا على النهر، ومعه الحقيبة الصغيرة ... وضعها على مائدة أمامه، وأعدَّ كوبًا من الشاي ثم فتحها ... وكانت مفاجأة له عندما فتح الحقيبة ... كان فيها مجموعة من الأقنعة، وكان بها خريطة، وورقة عليها تعليمات مكتوبة على الآلة الكاتبة وكانت هذه هي التعليمات:

(١) إنَّ مطعم «السمكة التي أفلتت» من أسوأ المطاعم سُمعة؛ فهو يتبع عصابة «المافيا»، وكثيرًا ما استُخدم كمكان لتصفية الخصوم.

(٢) يتصل المطعم في الجدار الملاصق لصالة الطعام بدهليز متعرِّج يصل إلى الأدوار تحت الأرضية لعمارة «الامباير ستيت»، هذه الأدوار التي تمتلئ بأنابيب الغاز والمياه الساخنة وأجهزة التكييف الضخمة.

(٣) في هذه الأقبية والدهاليز يعيش نوع من الفئران الضخمة التي تستطيع أن تفتك بالإنسان.

(٤) يعيش في هذه الدهاليز مجموعة من الأفَّاقين واللصوص والمجرمين الهاربين من القانون حيث يصعب متابعتهم ... وهؤلاء ممكن أن يقتلوا أيَّ شخص أو عدد من الأشخاص بتعليمات «المافيا».

(٥) قد تتم محاولة القضاء عليكم بإطلاق الغازات من أنابيب الغاز عليكم في الدهاليز بعد حصاركم.

(٦) لهذا أرسلت لكم مجموعة من الأقنعة للاستعمال أرجو ألَّا تنسوها.

(٧) أتوقَّع أن يستدرجَكم «موكا» إلى الدهاليز للقضاء عليكم.

(٨) أتمنى أن تأخذوا حِذْركم.

أغلق «أحمد» الورقة، وسرح في تفكير عميق ... لقد أثبت «موكا» أنَّه رجل داهية؛ فقد خطط للإيقاع بهم في مصيدة الفئران، حيث يمكن القضاء عليهم بعدة طرق ... الغاز ... القَتَلة ... الفئران ... وحتى إغراقهم في المجاري الضخمة التي تحت العمارة.

تمدَّد «أحمد» في كرسي طويل يُطلُّ على النهر، وأخذ يضع خُطته ... هناك احتمال أوَّلي، ألَّا يذهب إلى «موكا» مثلًا، وسوف يكون في ذلك إعلانًا صريحًا عن خوفه في مواجهة رجل العصابات، وهو لا يخاف ... هناك الاحتمال الثاني، أن يذهب وحده حتى لا يُعرِّض بقية الشياطين للخطر، وهم سوف يرفضون ذلك بالتأكيد ... وهناك الاحتمال الثالث، أن يذهبوا جميعًا، وهذا ما سيحدث بالفعل ... وعليه أن يضع خطته على هذا الأساس.

وصل الأصدقاء قُرب الساعة الثانية، وأخذ كلٌّ منهم يُدلي بوجهة نظره، ويضع احتمالات لم تكن بعيدة عن خطة «موكا»، ولكن أحدًا منهم لم يستطع أن يتصور وجود الدهاليز القاتلة، وخطة «موكا» الدموية ... وبعد أن تحدثوا جميعًا شرح لهم «أحمد» الموقف، فأصاب الذعر «فرانك» و«جوك»، وقالَا في نفَس واحد: أرجوك لا تذهبوا ... إنَّ «موكا» سوف يقضي عليكم.

أحمد: إنَّ عندنا خرائط كاملة للدهاليز، وقد درستُها ... وهناك فتحتان تصعدان على وجه الأرض ... وستكون خُطتي الالتحام مع «موكا» سريعًا على ألا نسير في الاتجاهات التي يدفعنا إليها، بل نسير في اتجاه الفتحتَين ... وسيكون «فرانك» في انتظارنا بسيارة عند أحد الفتحتين و«جوك» عند الفتحة الثانية.

وفرد «أحمد» الخرائط على المائدة، وجلس الجميع ينظرون إلى أصابعه وهي تُشير إلى خطة السير قائلًا: سندخل من هذه الفتحة ... فالمفروض أن أذهب وحدي وستحاولون أنتم الدخول بالملابس التنكُّرية التي أحضرتموها، فإذا منعكم أحد فعليكم اقتحام طريقكم إلى الداخل بأي طريقة.

إلهام: هل سنسير معًا؟

أحمد: لا بالطبع سأذهب أنا وأنت ... و«عثمان» مع «زبيدة»، وسيكون تقدُّمنا بالتبادل ... أي كل زوج منا يغطِّي الزوج الآخر، وهكذا سيكون تقدُّمنا مستمرًّا.

إلهام: إنَّهم سيفتشونك بحثًا عن الأسلحة؟

أحمد: هذا ما أتوقَّعه ... خذوا معكم أسلحة إضافية!

ظلَّ الحوار مستمرًّا نحو ساعة، ثم قامت «إلهام» و«زبيدة» بإعداد الطعام حيث تناولوه جميعًا في شرفة الفيلَّا.

في المساء، ارتاح الشياطين وقام «عثمان» و«زبيدة» بإعداد الأسلحة … وفي الساعة السابعة تمامًا، كان «أحمد» يركب سيارة الشياطين وحده، وخلفه تحركت سيارتان، إحداهما يقودها «جوك»، والثانية يقودها «فرانك» وفيهما بقية الشياطين.

وصل «أحمد» إلى قرب مطعم «السمكة التي أفلتت» وأحسَّ ببعض التوتُّر … ولكنه سيطر على أعصابه سريعًا … وبعد بعض الجهد، استطاع أن يجد مكانًا يركن فيه السيارة، ثم تقدم بهدوء تجاه المطعم.

عندما فُتح الباب ودخل، أحسَّ أنَّ حركة غير عادية تحدث داخل المطعم الصغير المضاء بالشموع … كانت هناك ثلاث موائد مشغولة، وكانت بقية الموائد فارغة … وشمل «أحمد» المكان بنظرة سريعة، واستطاع أن يعرف على الفور أين توجد الوصلة بين المطعم ودهاليز العمارة الكبيرة … فقد كانت هناك ستارة مشدودة من الواضح أنَّها لا تُفتَح إلا بطريقة أوتوماتيكية، خلفها فراغ يتَّسع لمائدة متوسطة الحجم.

اختار «أحمد» مائدةً تُواجه الباب … كان يضع في كعب حذائه جهازَ إرسال صغيرًا متصلًا بأجهزة مماثلة في أحذية الشياطين، حتى إذا ضلَّ أحدُهم طريقَه في الدهاليز أمكن الاتصال به سريعًا … وجاء أحد عمال المطعم ومدَّ يده بقائمة الطعام، وقبل أن يطلب «أحمد» شيئًا ظهر «موكا» في الباب فجأة … كان وحيدًا أيضًا مثل «أحمد»، وتقدَّم ببطء … كان يلبس نفس ملابسه التقليدية وعليها المعطف الطويل، وكان يلهث كالثور؛ فقد كان جسمُه ضخمًا بطريقة غير طبيعية، ويداه كبيرتَين بشكل مُلفت للنظر.

تقدَّم «موكا» ببطء وحذر، وكأنما توقَّع أن يُخرج «أحمد» مسدسًا يُطلقه عليه … وعندما وصل إلى المائدة ارتمى على الكرسي فجأةً، وقال: هل تحمل سلاحًا؟

ردَّ «أحمد»: لا!

موكا: إنني لا أصدِّق ذلك!

أحمد: وأنا لا أكذب … أظن أنَّ لقاءً كهذا من المفروض أنَّه للحديث وليس لتبادل الرصاص.

موكا: هل طلبت طعامًا؟

أحمد: لم أطلب بعد.

موكا: أنصحك بشريحة من اللحم بالبصل المفروم والفلفل والصلصة، ومعها طبق من المكرونة.

أحمد: هذا كرم منك!

وأصدر «موكا» تعليماتِه للرجل الواقف، فذهب لإحضار الطلبات، والتفت «موكا» إلى «أحمد» وبدَت عيناه الحمراوان كأنَّما هما قطعتَا جمْرٍ، وقال بصوت يقطر بالوعيد: اسمع أيها الشاب ... إنَّك لستَ من هذا البلد ولا تعرف مَن أنا، إنني أعطيك إنذارًا أخيرًا أن تنسحب من هذه العملية ... لقد حضرت إلى الموعد الذي حددتَه وهذا يجعلني لا أستطيع أن أمدَّ يدي عليك، رغم أنَّه في إمكاني الآن أن أنتهيَ منك ... ولكن إذا لم تقبل إنذاري فسوف أتحلَّل من وعدي ... لن يلزمني شيء، ستموت قبل أن تخرج من هذا المكان.

فجأة ظهر ثلاثة رجال عند المدخل، ونظروا إلى حيث يجلس «موكا» و«أحمد»، واتخذ كلٌّ منهم موضعًا في ركن من صالة الطعام بحيث تكون المائدة التي يجلس عليها «موكا» و«أحمد» محاصرة من جميع الجهات!

شاهد «أحمد» دخولَ الرجال الثلاثة، وأدرك أنَّ «موكا» جادٌّ في حديثه وأنَّه بعد هذا الإنذار لن يتردد ... ولكن لم يكن «أحمد» بالذي يخاف، خاصة وأنَّه فعلًا يريد إنقاذ «فرانك»، ولا يتركه لهذه الذئاب الجائعة.

قال «أحمد»: لقد شرحت لك في التليفون ماذا أريد ... إنني أرجوك أن تترك «فرانك» وبهذا لا يكون بيننا أيُّ مشاكل.

ضغط «موكا» على أسنانه وقال بكلمات متقطعة ولكنها حاسمة: اسمع يا بُني ... إنَّك لا تعرف الحياة هنا، ثم إنَّ هذا عملي، ولا بد أن أحصل على نقود من «فرانك» وإلا سقطَت هيبتي وسط الرجال.

أحمد: وهل من الرجولة أن تتصدَّى عصابة بأكملها لرجل وحيد؟!

موكا: دَعْك من هذه العواطف الرقيقة، إنَّ العمل هو العمل ... والجريمة في حياة أمثالي هي عمل، وإذا لم أمدَّ يدي لأقتُلَ، ستمتدُّ يدٌ لتقتلني!

أحمد: إذن فأنت لن تترك «فرانك» وحاله؟

موكا: لا، وهذه آخر كلمة تسمعها مني في هذا الموضوع ... أما أنت، فإما أن تنسحب أو تُقتَل.

أحمد: هل ستقتلني أمام كل هؤلاء الشهود؟

موكا: هذا ممكن ... ولكن هناك طرقًا أخرى.

أحمد: إذن فلتبدأ عملك ... إنني أرفض إنذارك!

نظر «موكا» إلى الرجال الثلاثة. فوقفوا وتقدموا إلى المائدة ... ووصل الطعام في تلك اللحظة، فقال «أحمد» بمرح: ألا تتركني آكل وجبتي الأخيرة؟!

صمت «موكا» لحظات، ثم قال: لا بأس ... تناول عشاءك الأخير.

واعتدل «أحمد» في جلسته، وأخذ يتناول طعامه في سعادة وهو يمضغ الطعام متلذذًا، وكأنه ليس قادمًا على مغامرة من أخطر مغامرات حياته.

المفاجأة!

ظهر الشياطين بعد لحظات، ولولا أنَّ «أحمد» يعرف ملابس التنكُّر التي سيلبسونها لما تعرَّف عليهم ... كان «عثمان» قد تحوَّل إلى رجل طويل الذقن، أشعث الشعر يلبس الأساور في يدَيه، ويعلِّق في رقبته سلاسل الخرز، وأصبحت «زبيدة» سيدة متوسطة العمر تلبس نظارات غامقة ... وتحوَّلت «إلهام» — لدهشة «أحمد» — إلى فتًى من فتيان «نيويورك» الهيبيز ... ولم يلفت وجودُهم أيَّ انتباه ... وكاد «أحمد» يبتسم، وهو ينظر إليهم، خاصة وأنَّ «إلهام» كانت تحمل «جيتارًا» كبيرًا، لم يشكَّ «أحمد» لحظة أنَّه مدفع سريع الطلقات.

مضى «أحمد» يأكل على مَهَل، مفكرًا في الساعات القادمة ... ولكن «موكا» صاح به في غضب: هيَّا ... هذا يكفي.

أحمد: إلى أين؟

موكا: ستعرف.

قام «أحمد» بعد أن مسح يدَيه، وقال مبتسمًا: مَن الذي سيدفع الحساب؟

موكا: سيكون عشاؤك الأخير على نفقتي الخاصة.

وقام «أحمد» محاصَرًا بالرجال الثلاثة ... ويبدو أنَّ المشهد كان عاديًّا في هذا المطعم السيِّئِ السُّمعة، فلم يلتفت أحد إلى ما يحدث، واتجهوا به إلى الستار الكبير، في نهاية الصالة، وانفتح الستار سريعًا، ودخلوا، ثم أُغلق الستار ... وفكَّر «أحمد»: إنَّ الشياطين سيحتاجون إلى اقتحام باب الدهليز بالقوة.

فتح بابه، وهبَّت رائحة سيئة من سُلَّم قديم، بدَا مُضاءً بضوء باهت، وقال «موكا»: هيَّا!

نزل «أحمد» السُّلَّم، وخلفه «موكا» والرجال، وذُهل للقذارة الشديدة ومياه الرشح التي تنزل من السقوف ... كانت هناك عشرات من المواسير الضخمة التي تحمل المياه

والكهرباء إلى العمارة الكبيرة، وعشرات أخرى من المواسير الواسعة التي تحمل نفايات وبقايا السكان.

بدا صوتُ أقدامهم يرنُّ في العمق العجيب، الذي يُخيم على المكان ... وبدَت فئران ضخمة تقفز هنا وهناك. قال «موكا»: هذه هي فئران «نيويورك» التي سمَّوا عصابة «بازوليني» باسمها ... إنَّها فئران ضخمة، تأكل الإنسان في لحظات، إذا وقع في براثنها!

أحمد: إنني لا أفهم، لماذا كل هذا الاحتفال بقتلي!

موكا: مَن الذي قال لك إننا سنقتلك؟ ... إنَّك ذاهب لمقابلة رجلٍ مهتمٍّ بك جدًّا، ولو أردنا أن نقتلك لما استغرق هذا منَّا كلَّ هذا الوقت ... كان يُمكن القضاء عليك برصاصة واحدة.

فكَّر «أحمد» سريعًا: مَن هو هذا الرجل الذي يهتم بمقابلته إلى هذا الحد؟! دار في ذهنه كشفٌ طويل بأسماء رؤساء العصابات الذين تغلَّب عليهم الشياطين، ولكنَّه لم يستطع التركيز على شخص واحد.

قصدَا عبر سلسلة من الدهاليز المضاءة بلمبات باهتة ... وزاد ثقل الهواء والرائحة، وعدد الفئران، التي بدأت تصطدم بهم ... وخُيل لـ «أحمد» أنَّه شاهد بعض الوجوه العجيبة في وسط الضباب الذي يسود المكان ... ثم صعدوا بضعة سلالم. ووجد «أحمد» نفسه أمام باب من الحديد السميك. ودقَّ «موكا» الباب، ففُتح على الفور، وظهر وجه رجل، كأنَّه سُلخ بسكين حاد، ما كاد يرى «موكا»، حتى صاح: مرحبًا أيُّها القرد!

أزاحه «موكا» جانبًا، ثم دفع «أحمد» إلى داخل الغرفة المستطيلة، التي تُشبه الزنزانة ... وما كاد «أحمد» يرى مَن في داخلها حتى ذُهل ... كان «بازوليني»، وكانت مفاجأة.

قال «بازوليني» على الفور: لا تندهش أيُّها الشاب ... إنَّ في أمريكا حِيَلًا قانونية كثيرة، يُمكن أن تُخرجَك من السجن!

أحمد: هذا واضح!

بازوليني: حتى لا نُضيع وقتنا ... إنني أطلب منك بعض المعلومات.

أحمد: أيَّة معلومات؟!

بازوليني: إنَّ موضوع «فرانك» ليست له كل الأهمية ... إنَّما المهم هو أنت!

أحمد: أنا؟!

بازوليني: نعم ... إنَّ الثمن المعروض من أجل بعض المعلومات منك يستحق أن نضغط عليك.

سكت «أحمد»، ولم يُجِب. فعاد «بازوليني» يقول: أنت تعرف طبعًا عصابة «سادة العالم»؟

لم يَكَد «بازوليني» ينطق هذه الجملة، حتى أدرك «أحمد» أنَّ المسألة في غاية الخطورة ... فهذه أقوى عصابات العالم السُّفلي على الإطلاق، وهي تمتلك من القوة والوسائل ما يُمكنها من عمل أي شيء.

مضى «بازوليني» يقول: لقد عرَفَت عصابةُ «سادة العالم» أنَّك ستقع في يَدِنا، وقد طلبوا منَّا أن نستجوبك لنحصل على المعلومات اللازمة عن المنظمة التي تنتمي إليها ... إنَّهم يقولون إنَّها منظمة ضخمة لا مثيل لها، وإنَّكم استطعتم هزيمة عصابة «سادة العالم» في عدة معارك وعطلتم مشروعاتها ... ولا بد من القضاء عليكم.

أدرك «أحمد» أنَّه في مأزقٍ، وتمنى أن يتحرك الشياطين سريعًا، فضغط على جانب كعب الحذاء في الكعب الآخر، وهذا يُعطي إشارة إلى الشياطين باتجاه المكان.

قال «أحمد»: إنني لا أعرف عن أي شيء تتحدث!

بازوليني: دَعْنا نتكلم كرجالٍ ... أنت تعرف عمَّا أتكلم، وعندنا وسائل كثيرة لإجبارك على الكلام.

لم يردَّ «أحمد» ... كان يعرف أنَّ أيَّ حديث لن يُجديَ مع مثل هذا الرجل، وقال «موكا» منفعلًا: لقد أضعنا وقتًا طويلًا مع هذا الولد ... دَعْنا نضغط عليه.

قام «بازوليني» واقفًا، وقال: لنبدأ بالفئران.

وبسرعة، خرج كلُّ الرجال من الغرفة، وانسحبوا إلى أحد الدهاليز الجانبية، ووجد «أحمد» نفسه وحيدًا ... وسمع صوتًا كأنَّ أبوابًا بعيدة تُفتح وتُغلق. وفي لحظات، رأى آلاف العيون الصغيرة، التي تُشبه حبَّاتِ الخرز تنظر إليه ... وسَمِع وَقْعَ آلاف الأقدام الصغيرة، كأنَّها حبَّات المطر، وهي تتقدَّم منه. وقد واجه «أحمد» عشرات الأخطار ... واجه الموت بالمدافع والرصاص والخناجر، ولكن هذه أول مرة يواجه فيها هذا الموت الرهيب ... الموت بأسنان آلاف الفئران الضخمة، التي ساقَتها العصابة إلى هذا السجن الصخري تحت الأرض ... ولأول مرة في حياته، شعر «أحمد» أنَّه في مأزقٍ سخيف. وبدأت الفئران تقترب، وارتفعت أصواتها الرفيعة، التي تُشبه صَليل الصُّلب. وأخذ «أحمد» يتراجع أمام الزحف، وأخذت عيناه تنظران إلى كل الأركان ... كان يبحث عن أي شيء يمكن أن ينقذه ... وسمع ضحكات بعيدة، وأدرك أنَّ «بازوليني» و«موكا» ورجالهما يضحكون عليه ... وأحسَّ بالدم يغلي في عروقه ... ثم قفز أحد الفئران الضخمة، وتعلَّق بالسقف، وقفزَت خلفه عشرات

الفئران، ثم بدأت هذه الحيوانات المخيفة والمقززة تقترب ... وطار أحدها ونزل على كتف «أحمد»، وأحسَّ بجلده ذي الشعر الخشن يحكُّ رقبته ... وضربه «أحمد» بكل قوته، فسقط على الأرض ... ولكن عشرات غيره بدأت الهجوم، وأحسَّ بها تتراكم عليه، وأسنانها تعبث بثيابه ... وكاد يصرخ، ولكنَّه تمالك نفسه ... وأخذ يضرب بشدة، ويقفز هنا وهناك ... ولكن هجوم الفئران استمر، وبدأ يحس بالتعب والرعب ... وفي هذه اللحظات المخيفة، سمع صوت أقدام تأتي مسرعة، عبر الدهاليز الصخرية والأنابيب الضخمة ... ثم سمع صوت «إلهام» تصيح: أين أنت؟!

وصاح بأعلى صوته: هنا بسرعة!

وظهر الشياطين ... وانطلقت الكشافات القوية تُضيء المنظر المرعب لألوف الفئران، التي كانت تحيط بـ «أحمد»، وتستعد لتناول وجبة دموية من اللحم البشري.

اجتاحَت نيرانُ المدافع الرشاشة بابَ الزنزانة، ثم انطلقَت المدافع تحصد الحيوانات المخيفة، التي بدأت انسحابها فورًا، هاربة في شقوق الجدران، وفي الفتحات الكثيرة التي في جدران الزنزانة ... وفي تلك اللحظة، سمع الأربعةُ صوتَ أقدام تأتي من بعيد، وأدركوا أنَّ «موكا» قادمٌ مع رجاله ... وقال «أحمد»: إنَّ «بازوليني» هنا أيضًا!

وتوارَى الأربعة خلف الجدران ... وفي الضوء الخفيف الذي يُضيء الدهاليز المضببة، ظهر رجال العصابة، وهم يحملون أسلحتهم. ولم يتردد «أحمد» فأطلق دفعة متصلة من مدفعِه الرشاش، الذي حملَته إليه «زبيدة»، وسقط رجلان، وانبطح الباقون على الأرض.

صاح «أحمد»: انتشروا حسب الخطة!

وسرعان ما قفز الشياطين يمينًا ويسارًا، وبدءوا هجومهم على شكل مروحة عبر الدهاليز ... وقد بدَت ألوف الفئران تجري في كل اتجاه، وهي تُطلق أصواتها المعدنية المخيفة ... وأخرج «عثمان» صاروخًا صغيرًا للإضاءة، ثم أطلقه في اتجاه هجوم العصابة، وعلى الضوء الساطع، ظهر خطر جديد ... لقد كان أحد رجال العصابة يقذف من ماسورة ضخمة غازًا قويًّا، لم يشكَّ الشياطين في أنَّه غازٌ سامٌّ ... وعلى الفور أخرجوا الأقنعة التي زوَّدهم بها عميل رقم «صفر»، وارتدوها، ثم تقدَّموا محتمين بالجدران، وهم يُطلقون نيرانهم في كل اتجاه ... واختفى رجال العصابة ... وسكتت المدافع.

ساد الصمت لحظات ... ثم سَمِع الشياطين أصواتَ أقدام تجري مبتعدة في اتجاه الفتحة الأولى ... وصاح «أحمد»: يجب أن نمنعهم من الصعود إلى السطح ... وبدءوا الهجوم.

ليس في الدنيا مستحيل!

أخذت الطلقات تُدوِّي في الدهاليز الضخمة، فيُسمَع لها رنينٌ مفزعٌ، ويتجاوب رجْعُ الصدى في كل مكان، كأنَّه أصوات قادمة من عالم آخر، عالية ومفزعة ... وانهمرت من مئات الشقوق آلاف وآلاف من الفئران الضخمة تجري في كل اتجاه.

كانت خطة «بازوليني» و«موكا» هي دفع الشياطين إلى الخلف، وإغلاق البوابات الضخمة، التي تفصل بين دهليز وآخر عليهم ... وهكذا أخذ رجال العصابة يكثفون نيرانهم ويتقدَّمون ... وأسرع «عثمان» بوضع قاعدة صغيرة لمدفع رشاش في وسط أحد الدهاليز، ثم ضغط على الزناد، فانطلق المدفع يرش مئات الطلقات، وإلى هذا الاتجاه سار رجال العصابة، وهم يُطلقون النار، دون أن يرَوا شيئًا؛ فقد امتلأت الدهاليز بدخان البارود، وضباب مياه المجاري، التي أخذت تتسرب من المواسير الضخمة ...

وشاهدت «زبيدة» بابًا ضخمًا من الحديد، ورجلان من العصابة يدفعانه ببطء لإغلاقه، قفزت هي و«عثمان»، وانطلقَا، حتى وصلَا إلى الباب، الذي كاد يُغلَق. وقفز «عثمان» عبر المسافة الباقية بين الباب والجدار، وأمسك بأحد الرَّجُلين، وأداره بسرعة، كأنَّه بريمة، ثم ضربه ضربة واحدة سقط على إثرها ... بينما كان الآخر يشتبك مع «زبيدة» محاولًا ضربها بخنجر، بعد أن فرغ رصاص مسدسه ... ولكن «زبيدة» استطاعت القبض على مِعْصمه، ثم لوَت ذراعه، فصرخ صرخة عالية، ثم ضربَته بقدمها، فسقط على الأرض سقطةً داوية ... وأخذ «عثمان» و«زبيدة» يدفعان الباب مرة أخرى. ووصل «أحمد» و«إلهام»، وقد غطاهما دخان البارود.

وفجأة، حدث ما لم يكن في الحسبان ... لقد لجأت العصابة إلى حيلة مخيفة ودنيئة، هي إغراق الشياطين في مياه المجاري؛ فقد سمع الشياطين الأربعة صوتَ هديرٍ مكتوم

يأتي من بعيد ... وفي البداية، ظنُّوا أنَّه صوت أقدام الفئران، التي انطلقت في كل مكان ... ولكن الدوي كان منتظمًا، تسبقه رائحة عفنة، كأنَّها عاصفة ...

وتنبَّه «أحمد» إلى ما يحدث، وصاح: لقد أطلقوا النار على مواسير المجاري ... إنَّ آلاف الأطنان من القاذورات تجتاز الدهاليز وتُحاصرنا.

عثمان: هيَّا نصعد إلى السطح!

أحمد: نعم ... هيَّا بنا!

وانطلقوا حسب الخرائط، التي حفظوها تمامًا، في اتجاه شمالي ... إنَّها الفتحة التي يقف عندها فرانك، هكذا صاح «أحمد»، وهم يجرون ... ولكن «بازوليني» ظهر في تلك اللحظة، ومعه رجلان ... كان التنفس قد أصبح صعبًا تحت ضغط الهواء القادم ... وكان «بازوليني» الضخم الجثة يلهث وقد تلوث وجهه، وأخذ يُطلق النار من مسدس، بطريقة عشوائية ...

ارتكز «عثمان» على ركبته، وأمسك مسدسه بكلتا يديه، ثم حبس أنفاسه تمامًا، وأطلق طلقة واحدة أصابت «بازوليني» في ركبته بالضبط، وسقط الرجل كالثور على الأرض ... وأسرع الرجلان يحاولان حَمْله، ولكن المياه الرهيبة المتدفقة، بدأت تقترب بقوة، وتكتسح أمامها كل شيء ...

ترك الرجلان «بازوليني»، وهو ملقًى على الأرض، وأسرعَا بالفرار ... كان المهم الآن إنقاذ حياتهما ... وتقدم الشياطين ...

كان «بازوليني» ملقًى على الأرض، يئنُّ كأنَّه ثور ... وصاح بهم: أنقذوني ... إنني لم أفعل شيئًا ... إنني ...

وتقدَّم الشياطين منه ... كانوا رغم هذا الصراع المميت، عندهم قيمٌ ومبادئ، فيجب إنقاذ «بازوليني» وتقديمه للعدالة ... ولكن «بازوليني» النذل، ما كاد يرى الشياطين يتقدَّمون منه، حتى أمسك بمسدسه، وارتكز على كوعه الأيسر، وأطلق عليهم الرصاص.

ارتمى الشياطين على الأرض. وفي تلك اللحظة ظهر خطر آخر ... لقد بدَا في الظلام المضاء شبحُ «موكا برازي»، كأنَّه إنسان آلي يتقدم، وقد رفع بمسدسَيه الكبيرين إلى الأمام، وأخذ يُطلق النار كأنَّه دبابة.

في هذه اللحظة رفع «أحمد» مسدسه، وأطلق النار على المصباح الوحيد الصغير، الذي يُضيء المكان. وساد الظلام ... ومن بعيد، كانت الأصوات تهدر ... أصوات الفئران المذعورة، وأصوات المياه المتدفقة ... وقال «أحمد» للشياطين: نشقُّ طريقنا دون إطلاق

النار ... سنسير بمحاذاة الجدران ... الاتجاه إلى الأمام لمسافة مائة متر تقريبًا، ثم الانحراف يسارًا، سأُطلق نور البطارية بين لحظة وأخرى ...

وهكذا سار الشياطين ... كان «موكا» يُطلق النار في كل اتجاه، وسط الدهليز، حيث كان المدفع الرشاش الذي ثبَّته «عثمان» على الأرض، ما زال يُطلق في خط مستقيم ... وتوقَّف «موكا» عن الضرب، وصاح كحيوان في الغابة: اظْهَروا إن كنتُم رجالًا.

وفي اتجاه الصوت، أطلقت «إلهام» طلقة واحدة، وقفزت مبتعدة ... وسمعوا صيحة ألم، ثم صيحات سباب متصلة، صدرت من «موكا» الجريح، الذي أخذ ينادي رجاله: أين أنتم أيها الجبناء؟ ... أين أنت يا «بازوليني»؟ ... لقد غرَّرت بي وخُنتَني ...

كان واضحًا أنَّ «موكا» يهذي ... وكان «بازوليني» يرد: أنقذني يا «موكا» ... لا تتركني هنا ... لقد هرب كلُّ رجالنا ... مدَّ يدك لي.

ازداد هدير الماء قُربًا. وأخذ الشياطين يجرون بأقصى سرعتهم ... وبعد مائة متر كما قال «أحمد»، انحرفوا يسارًا، وعاد الضوء مرة أخرى ... كان دهليزًا ضيقًا، ينتهي بسُلَّم ... ولدهشة الشياطين الشديدة، وجدوا أربعة من رجال العصابة، يحاولون صعود السُّلم للخروج إلى الشارع ... ولكن طَرْقاتهم على الفُتحة التي يقف عندها «فرانك»، لم تكن الطَّرقات المتفق عليها؛ لهذا لم يفتح لهم «فرانك» الغطاء الحديدي.

كانت معركةً متكافئة، أربعة ضد أربعة ... وسرعان ما كان الشياطين يقفزون كالبهلوانات في اتجاهات مختلفة ... وطارت الأذرع والأقدام في كل اتجاه، ومع كل ضربة يسقط رجل من رجال العصابة ... وفجأةً، تدفَّقت المياه في الدهليز الضيق ... تدفَّقت بسرعة مخيفة، كأنَّ انفجارًا ذريًّا قد وقع بالمكان، ولم يَعُد هناك وقتٌ يضيع، وقفز الشياطين إلى السُّلم ... كان أولهم «أحمد»، الذي دقَّ على الفتحة ستَّ دقات، كلٌّ دقَّتَين متتاليتان، وكانت المياه قد بدأ صعودها السريع إلى السُّلم ... وبدأت تَصِل إلى أقدام الشياطين، ثم إلى وسطهم، ثم إلى رءوسهم ...

ولكن «فرانك» رفع الغطاء في الوقت المناسب، وصعد الشياطين إلى الشارع المضاء ... وأعاد «فرانك» إغلاق الفتحة، ثم قفزوا جميعًا إلى السيارة، اتجهوا بها ناحية الفتحة الأخرى، حيث كان «جوك» في الانتظار، فحملوه معهم، واتجهوا إلى الفيلَّا ... وعندما وصلوا إلى هناك بعد نحو ساعة، كان جرس التليفون يدقُّ بإلحاحٍ ... وجرى «أحمد» إلى السماعة ورفعها، وعلى الجانب الآخر، سمع صوت عميل رقم «صفر» يقول في اضطراب: ماذا حدث؟!

أحمد: عن أي شيء تسأل؟

العميل: إنَّ الدنيا مقلوبة ... فقد انفجرت مواسير المجاري تحت عمارة «الامباير ستيت»، وصعدت المياه إلى الشارع ... والشرطة وأجهزة الأمن كلها هناك ... وقد كنت أعرف أنَّك طلبت خرائطَ لهذه المنطقة!

أحمد: إذن، كل شيء على ما يرام الآن!

العميل: لا أفهم!

أحمد: لقد انتهينا من معركتنا مع «بازوليني» و«موكا برازي»، وأعتقد أنَّهما ورجالهما قد غرقوا في المياه ... وانتهت بذلك أسطورة «موكا» القاطرة البشرية!

العميل: إنَّ هذا شيء لا يُصدَّق!

أحمد: كان هناك توفيق من الله ... وإنَّ الشر مهما كان قويًّا، لا بد أن يُهزَم.

العميل: شكرًا ... لقد قضيتم على أخطر رجل عاش في «نيويورك».

وانتهت المكالمة ... والتفت «أحمد»، فوجد «فرانك» يبتسم، رغم أنَّ عينَيه مغرورقتان بالدموع ... وتقدم «فرانك»، وأخذ يحتضن «أحمد»، ويقول: لم أكن أظن أنَّ هذا ممكن!

قال «أحمد»، وهو يحتضنه: ليس في الدنيا مستحيل.

هنـــداوي